سلسلة كتيبات شبكة بينونة

تفسير

سورة الإخلاص والمعوذتين

الشيخ د. عبد الرحمن بن سليمان الحمادي

@BaynoonanetUAE @Baynoonanet www.baynoona.net

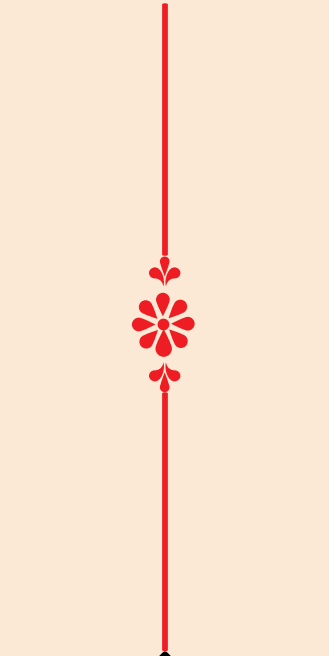

تفسير
سورة الإخلاص
والمعوذتين

تفسير
سورة الإخلاص والمعوذتين

الشيخ
د. عبد الرحمن بن سليمان الحمادي

شبكة بينونة للعلوم الشرعية

حقوق الطبع محفوظة

للمزيد من الكتب

@BaynoonanetUAE @Baynoonanet

www.baynoona.net

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

فبين يديك أيها القارئ الكريم، مادة علمية، أصلها محاضرتين ألقيتهما عبر أثير إذاعتي مركز رياض الصالحين الإسلامي بدبي، وشبكة بينونة للعلوم الشرعية بأبوظبي بارك الله في القائمين والمنظمين وأجزل لهم المثوبة.

أخي القارئ، أختي القارئة!

بين يديكم وقفات تدبرية مع تفسير سورة الإخلاص:

تفسير سورة الإخلاص

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الخلاص]،

وهي سورة مكية.

سبب نزول هذه السورة:

روىٰ أبو العالية عن أُبي بن كعب، أن المشركين قالوا للنبي ﷺ: انسُب لنا ربك؟ فأنزل الله هذه السورة [١].

وجاء أن ذلك كان بسُؤال اليهود، سألوا النبي ﷺ فقالوا: صف لنا ربك؟ فأنزل الله السورة [٢].

شرح الآيات:

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾

﴿قُلْ﴾ الخطاب للرسول ﷺ، وللأمة أيضًا

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند والترمذي كتاب التفسير باب ومن سورة الإخلاص.

(٢) تفسير ابن جرير الطبري لسورة الإخلاص.

و ﴿هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ ﴿هُوَ﴾ ضمير الشأن عند المعربين. ولفظ الجلالة ﴿ٱللَّهُ﴾ هو خبر المبتدأ و ﴿أَحَدٌ﴾ خبر ثان. ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ جملة مستقلة.

والمعنىٰ: ﴿قُلْ﴾ قولا جازمًا به، معتقدًا له، عارفًا بمعناه، ﴿هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ أي هو الله الذي تتحدثون عنه وتسألون عنه ﴿أَحَدٌ﴾ أي: متوحد بجلاله وعظمته، ليس له مثيل، وليس له شريك، بل هو متفرد بالجلال والعظمة ﷻ. الأحد المنفرد بالكمال، الذي له الأسماء الحسنىٰ، والصفات الكاملة العليا، والأفعال المقدسة، الذي لا نظير له ولا مثيل.

﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾

بيّن الله تعالىٰ أنه ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ عن ابن عباس أن (الصَّمَد)الذي لا جوف له. وهو قول مُجاهد والحسن وسعيد بن جُبير. وعن الشّعبي: الذي لا يأكل

ولا يشرب. وكل هذه المعاني تدل علىٰ كمال الله ﷻ.

وقِيل تفسيره ما بعده، كما روىٰ أبو العالية عن أُبي بن كعب، قال: (الصَّمَد)، الذي لم يلد ولم يُولد؛ لأن من يولد سيموت، ومن يَرث يُورث منه.

وعن أبي وائل شقيقُ بن سلمةرضي الله عنه: (الصَّمَد) هو السّيِّد الذي قد انتهىٰ سُؤدُدُه. وفي رواية أخرىٰ عن ابن عباسرضي الله عنهما: (الصَّمَد) هو السَّيِّد الذي قد كمُل في جميع أنواع السُّؤدُد.

وعن سعيد بن جُبير أيضًا: (الصَّمَد) هو الكاملُ في جميع صفاته وأفعاله.

ومن أجمع ما قيل في معناه: أنه الكامل في صفاته، الذي افتقرت إليه جميع مخلوقاته في جميع الحوائج. فأهل العالم العلوي والسفلي مفتقرون إليه غاية الافتقار، يسألونه حوائجَهم، ويرغبون إليه في مهماتهم،

لأنه الكاملُ في أوصافه، العليمُ الذي قد كَمُل في علمه، الحليمُ الذي قد كمُل في حِلمه، الرَّحيم الذي كمُل في رحمته، الذي وسعت رحمته كل شيء، وهكذا سائر أوصافه.

فقد روي عن ابن عباس أن الصمد هو الكامل في علمه، الكامل في حلمه، الكامل في عزته، الكامل في قدرته، إلىٰ آخر ما ذكر في الأثر. وهذا يعني أنه مستغنٍ عن جميع المخلوقات لأنه كامل، وورد أيضاً في تفسيرها أن الصمد هو الذي تصمد إليه الخلائق في حوائجها، وهذا يعني أن جميع المخلوقات مفتقرة إليه، وعلىٰ هذا فيكون المعنىٰ الجامع للصمد هو: الكامل في صفاته الذي افتقرت إليه جميع مخلوقاته.

﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ ومن كماله سبحانه وتعالىٰ أنه ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ لكمال غناه ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾

لا في أسمائه ولا في أوصافه، ولا في أفعاله، تبارك وتعالىٰ.

فهذه السورة مشتملة علىٰ توحيد الأسماء والصفات.

﴿ لَمْ يَلِدْ ﴾ لأنه جل وعلا لا مثيل له، والولد مشتق من والده وجزء منه كما قال النبي في فاطمة: « إنها بَضْعَةٌ مني »[٣]، والله جل وعلا لا مثيل له، ثم إن الولد إنما يكون للحاجة إليه إما في المعونة علىٰ مكابدة الدنيا، وإما في الحاجة إلىٰ بقاء النسل. والله ﷻ مستغنٍ عن ذلك. فلهذا لم يلد لأنه لا مثيل له؛ ولأنه مستغنٍ عن كل أحد ﷻ.

وقد أشار الله ﷻ إلىٰ امتناع ولادته أيضاً في قوله تعالىٰ: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام: ١٠١]. فالولد يحتاج إلىٰ صاحبة تلده، وكذلك هو خالق كل شيء، فإذا كان خالق كل شيء فكل شيء منفصل عنه بائن

(٣) أخرجه البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ ومنقبة فاطمة (٣٧١٤). ومسلم كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل بنت النبي ﷺ (٢٤٤٩) (٩٣).

منه. وفي قوله: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ رد علىٰ ثلاث طوائف منحرفة من بني آدم، وهم: المشركون، واليهود، والنصارىٰ، لأن المشركين جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثًا، وقالوا: إن الملائكة بنات الله. واليهود قالوا: عزير ابن الله. والنصارىٰ قالوا: المسيح ابن الله. فكذبهم الله بقوله: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ لأنه ﷻ هو الأول الذي ليس قبله شيء، فكيف يكون مولوداً؟!

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ أي لم يكن له أحد مساوياً في جميع صفاته، فنفىٰ الله سبحانه وتعالىٰ عن نفسه أن يكون والداً، أو مولوداً، أو له مثيل.

في قراءة حفص عن عاصم: بضم الفاء من غير همز (كُفُوًا). وجاءت في قراءة حمزة وإسماعيل: (كُفْؤًا) ساكنةُ الفاء مهموزًا. وقرأ الآخرون بضم الفاء مهموزًا (كُفُؤًا)، وكلها لغات صحيحة.

وكلٌ منا يقرأ وفقًا للقراءة التي يقرأ بها القرآن. ولكن لو حصل وأن أخطأ قارئ وحاد عن قراءته المعهودة إلىٰ قراءة الآية وفقًا لقراءة أخرىٰ فلا تثريب عليه إن شاء الله؛ لأنه قرأ بقراءة صحيحة.

فضل سورة الإخلاص:

وهذه السورة لها فضل عظيم. قال النبي ﷺ: «**إنها تعدل ثلث القرآن**»(٤)، لكنها تعدله ولا تقوم مقامه، فهي تعدل ثلث القرآن لكن لا تقوم مقام ثلث القرآن. بدليل أن الإنسان لو كررها في الصلاة الفريضة ثلاث مرات لم تكفه عن الفاتحة، مع أنه إذا قرأها ثلاث مرات فكأنما قرأ القرآن كله، لكنها لا تجزئ عنه، ولا تستغرب أن يكون الشيء معادلاً للشيء ولا يجزئ عنه. فها هو النبي عليه الصلاة والسلام أخبر أن من قال: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له. له الملك وله الحمد،**

(٤) أخرجه البخاري كتاب فضائل القرآن باب فضل (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ) (٥٠٥١) ومسلم كتاب صلاة المسافرين باب فضل قراءة (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ) (٨١١) (٢٥٩).

وهو علىٰ كل شيء قدير، فكأنما أعتق أربعة أنفس من بني إسماعيل، أو من ولد إسماعيل»[٥]، ومع ذلك لو كان عليه رقبة كفارة، وقال هذا الذكر، لم يكفه عن الكفارة فلا يلزم من معادلة الشيء للشيء أن يكون قائمـًا مقامه في الإجزاء.

هذه السورة كان الرسول ﷺ يقرأ بها في الركعة الثانية في سنة الفجر، وفي سنة المغرب، وفي ركعتي الطواف، وكذلك يقرأ بها في الوتر، لأنها مبنية علىٰ الإخلاص التام لله، ولهذا تسمىٰ سورة الإخلاص.

ومما جاء في فضلها أن رسول الله ﷺ بعث رجلا علىٰ سرية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم، فيختم بقل هو الله أحد، فلما رجعوا ذُكر ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: **«سلوه لأي شيء يصنع ذلك؟ فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن، فأنا أحب أن أقرأ بها، فقال رسول الله ﷺ: أخبروه أن الله يحبه»**.

(٥) أخرجه مسلم كتاب الذكر باب فضل التهليل، (٢٦٩٣) (٣٠).

ويطلق عليهما اسم: (المعوذتان) نسبة لفاتحة كل سورة، وقد اشتملت السورتان معاني عظيمة، فحري بالمسلم أن يقف علىٰ معانيهما، ومنفعتهما، وشدة الحاجة بل الضرورة إليهما. وأنه لا يستغني عنهما أحد قط، وأن لهما تأثيرا خاصًا في دفع السحر والعين، وسائر الشرور، وأن حاجة العبد إلىٰ الاستعاذة بهاتين السورتين أعظم من حاجته إلىٰ النَفَس، والطعام، والشراب واللباس كما ذكر أهل العلم.

وقد اشتملت السورتان علىٰ ثلاثة أصول هي أصول الاستعاذة.

أحدها: الاستعاذة.

والثانية: المستعاذ به.

والثالثة: المستعاذ منه.

فبمعرفة ذلك تعرف شدة الحاجة والضرورة إلىٰ هاتين السورتين.

وقد تكلم ابن القيّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن هذه الأصول الثلاثة في تفسير هاتين السورتين، وملخصه:

أولاً: أصل الاستعاذة: وهي من: «**عاذ**»، تدل علىٰ التحرز والتحصن والنجاة. وحقيقة معناها: الهروب من شيء تخافه إلىٰ من يعصمك منه.

ولهذا يسمىٰ المستعاذ به: معاذًا.

ومعنىٰ «**أعوذ**» ألتجئ وأعتصم، وأتحرز، وأصله: السَّتر، ولزوم المجاورة.

قال ابن القيّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**فإن المستعيذ مستتر بمعاذه، مستمسك به، معتصم به. قد استمسك قلبُه به ولزمه، كما يلزم الولدُ أباه إذا أشهر عليه عدوُه سيفًا وقصدَه به،**

فهرب منه، فعرض له أبوه في طريق هربه، فإنه يلقي نفسه عليه، ويستمسك به أعظم استمساك؛ فكذلك العائذ قد هرب من عدوه الذي يبغي هلاكَه إلىٰ ربِّه ومالِكه، وفَرَّ إليه، وألقىٰ نفسه بين يديه، واعتصم به، والتجأ إليه»، ثم قال: «فمعنىٰ الاستعاذة القائم بقلب المؤمن وراء هذه العبارات، وإنما هي تمثيل وإشارة وتفهيم، وإلا فما يقوم بالقلب حينئذ من الالتجاء والاعتصام، والانطراح بين يدي الرب، والافتقار إليه، والتذلل بين يديه: أمر لا تحيط به العبارة».

ثانيًا: المستعاذ به:

وهو الله وحده، رب الفلق، ورب الناس، وملك الناس، وإلههم، الذي لا ينبغي الاستعاذة إلا به، ولا يُستعاذ بأحد من خلقه، بل هو الذي يُعيذ المستعيذين، ويعصمهم، ويمنعهم من شر ما استعاذوا من شره.

وأمّا من استعاذ بمخلوق فقد حاد عن السراط

المستقيم، كما جاء حكاية عن مؤمني الجن في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾، فقد جاء في تفسيرها: أنه «**كان الرجل من العرب في الجاهلية إذا سافر فأمسىٰ في أرض قفر، قال: أعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه**» أي فزاد الإنسُ الجنَّ باستعاذتهم بسادتهم طغيانًا وإثمًا وشرًا.

إذن فقد جاءت الاستعاذة في هاتين السورتين باسم الرب، والملك، والإله، وجاءت الربوبية فيهما مضافة إلىٰ الفلق، وإلىٰ الناس. ولا بد من أن يكون ما وصف الله به نفسه في هاتين السورتين يناسب الاستعاذة المطلوبة، ويقتضي دفع الشر المستعاذ منه أعظم مناسبة وأبينها؛ فالله سبحانه يُدعىٰ بأسمائه الحسنىٰ، فيُسأل لكل مطلوب باسم يناسبه ويقتضيه، وقد قال النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في هاتين السورتين: «**أنه ما تعوذ المتعوذون بمثلهما**»، فلا بد أن يكون الاسم المستعاذ به مقتضيا للمطلوب؛

وهو دفع الشر المستعاذ منه أو رفعه.

وإنما يتقرر هذا بالكلام في الأصل الثالث من أصول الاستعاذة، وهو الشيء المستعاذ منه، فتتبين المناسبة المذكورة.

ثالثًا: المستَعَاذُ منه: والكلام فيه يكون في أنواع الشرور المستعاذ منها في سورتي الفلق والناس، فالشر الذي يصيب العبد كما قال ابن القيّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا يخلو من قسمين:

إما ذنوب وقعت منه يعاقب عليها، فيكون وقوع ذلك بفعله وقصده وسعيه، ويكون هذا الشر هو الذنوب وموجباتها، وهو أعظم الشرين وأدومهما، وأشدهما اتصالا بصاحبه.

وإما شر واقع به من غيره. وذلك الغير إما مكلف أو غير مكلف، والمكلف إما نظيره، وهو الإنسان،

أو ليس نظيره، وهو الجني. وغير المكلف: مثل الهوام وذوات الحمة كالعقرب والحية وغيرها.

فتضمنت هاتان السورتان الاستعاذة من هذه الشرور كلها بأوجز لفظ وأجمعه، وأدله علىٰ المراد، وأعمه استعاذة، بحيث لم يبق شر من الشرور إلا دخل تحت الشر المستعاذُ منه فيهما.

فإن سورة الفلق - كما سيأتي - تضمنت الاستعاذة من أمور أربعة:

أحدها: شر المخلوقات التي لها شر عموما.

الثاني: شر الغاسق إذا وقب.

الثالث: شر النفاثات في العقد.

الرابع: شر الحاسد إذا حسد.

وسورة الناس مشتملة علىٰ الاستعاذة من الشر الذي هو سبب الذنوب والمعاصي كلها،

وهو الشر الداخل في الإنسان، الذي هو منشأ العقوبات في الدنيا والآخرة.

فسورة الفلق: تضمنت الاستعاذة من الشر الذي هو ظلم الغير له بالسحر والحسد، وهو شر من الخارج منفصلٌ عنه، وليس من كسبه، وهو من المصائب.

وسورة الناس: تضمنت الاستعاذة من الشر الذي هو سبب ظلم العبد نفسه وهو شر من الداخل، ويدخل تحت التكليف، ويتعلق به النهي، وهو من المعائب.

فصار أن الشرَّ كلَّه يرجع إلىٰ العيوب والمصائب. ولا ثالث لهما، فسورة الفلق تتضمن الاستعاذة من شر المصيبات، وسورة الناس تتضمن الاستعاذة من شر العيوب التي أصلها كلها الوسوسة.

هذا ما يمكن الحديث عنه بإيجاز تحت موضوع الاستعاذة التي افتتحت به سورة الفلق وسورة الناس. إذا علمنا هذا؛ نأتي إلىٰ شرح الآيات لكل سورة كما يأتي:

[شرح سورة الفلق]

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾:

الخطاب للنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، والمراد هو آحاد أمته.

وربُّ الفَلَق هو الله.

والفَلَق: الإصباح، ويجوز أن يكون أعمَّ من ذلك؛ أنَّ الفَلَق كلُّ ما يفلقه الله تعالىٰ من الإصباح والنوىٰ والحب؛ كما قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ [الأنعام ٩٥]، وقال: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ [الأنعام ٩٦]. ورُوي أن الفلق جُب في جهنم. قال ابن جرير: والصواب القول الأول، أنه فلق الصبح. وهذا هو الصحيح، وهو اختيار البخاري رَحِمَهُٱللَّهُ، في صحيحه.

قوله تعالىٰ: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾:

يعم كل موجود له شر، والتعوذ من شرِّ ما خَلَق؛ أي:

من شرِّ جميع المخلوقات، حتىٰ من شرِّ نفسِك؛ لأن النفس أمَّارةٌ بالسوء، فإذا قلت: ﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ فأول ما يدخل فيه نفسُك؛ كما جاء في خطبة الحاجة: «نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا».

وقوله: ﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ يشمل شياطين الإنس والجن والهوام وغير ذلك.

قوله تعالىٰ: ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾:

الغاسق قيل: إنه الليل، وقيل: إنه القمر، والصحيح أنه عامٌّ لهذا وهذا: أمَّا كونه الليل فلأنَّ الله تعالىٰ قال: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ ﴾ [الإسراء ٧٨]، وكما نعلم جميعًا أن الليل تكثر فيه الهوامُّ والوحوشُ، فلذلك استعاذ من شرِّ الغاسق؛ أي: الليل.

وأمَّا القمر فقد جاء في الحديث: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرَىٰ عائشةَ القمرَ وقال: «هَذَا هُوَ الْغَاسِقُ»، وإنما كان غاسقًا لأن سُلطانه يكون في الليل.

وقوله: ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ هو معطوف علىٰ ﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ من باب عطف الخاصِّ علىٰ العامِّ؛ لأن الغاسق من مخلوقات الله عَزَّوَجَلَّ.

وقوله: ﴿إِذَا وَقَبَ ﴾ أي: إذا دخل، فالليل إذا دخل بظلامه غاسقٌ، وكذلك القمر إذا أضاء بنوره فإنه غاسقٌ، ولا يكون ذلك إلا في الليل.

قوله تعالىٰ: ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴾:

﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴾ هنَّ الساحرات؛ يَعقِدْنَ الحبالَ وغيرَها، وتَنْفُث بقراءةٍ مُطَلْسَمةٍ فيها أسماء الشياطين علىٰ كلِّ عُقدة؛ تَعْقد ثم تَنْفُث، وهي بنفسها الخبيثة تريد شخصًا معيَّنًا، فيؤثر هذا السِّحر بالنسبة للمسحور ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ١٠٢].

وذَكَر اللهُ النفَّاثات دون النفَّاثين لأن الغالب أن الذي يستعمل هذا النوع من السِّحر هنَّ النساء،

فلهذا قال: ﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلْعُقَدِ﴾، ويحتمل أن يقال: إن ﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ﴾ يعني الأنفُسَ النفَّاثات، فيشمل الرجال والنساء.

قوله تعالىٰ: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾:

الحاسد هو الذي يَكْره نعمةَ الله عليك، فتجده يضيق ذَرْعًا إذا أنعمَ اللهُ علىٰ هذا الإنسان بمالٍ، أو جاهٍ أو علمٍ أو غير ذلك فيحسده.

والْحُسَّاد نوعان: نوعٌ يحسد ويَكْره في قلبه نعمةَ الله علىٰ غيره لكن لا يتعرَّض للمحسود بشيء، تجده مهمومًا مغمومًا من نِعَم الله علىٰ غيره، لكن لا يعتدي علىٰ صاحبه، والشرُّ والبلاءُ إنما هو بالحاسد متىٰ؟ إذا حَسَدَ، ولهذا قال: ﴿إِذَا حَسَدَ﴾.

ومن حَسَدِ الحاسدِ العينُ التي تُصيب المعيون، يكون هذا الرجل -نسأل الله العافية- عنده كراهةٌ لِنِعَم

الله علىٰ الغير، فإذا أحسَّ بنفسه أن الله أنعمَ علىٰ فلانٍ بنعمةٍ خرج من نفسه الخبيثة معنًىٰ لا نستطيع أن نَصِفَه؛ لأنه مجهول، فيُصيب بالعين من تسلَّطَ عليه، أحيانًا يموت، وأحيانًا يمرض، وأحيانًا يُجَنُّ، حتىٰ الحاسد يتسلَّط علىٰ الحديد فيُوقِف اشتغاله؛ ربما يُصيب السيارة بعينٍ وتنكسر أو تتعطَّل، ربما يُصيب رفَّاعةَ الماء، حرَّاثةَ الأرض، المهم أن العين حقٌّ، تُصيب بإذْن الله عَزَّوَجَلَّ.

قال الحسن بن الفضل: «**ذكر الله تعالىٰ الشر في هذه السورة ثم ختمها بالحسد ليظهر أنه أخس طبع**».

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«**فهذه السورة، تضمنت الاستعاذة من جميع أنواع الشرور، عمومًا وخصوصًا.**

ودلت علىٰ أن السحر له حقيقة يخشىٰ من ضرره، ويستعاذ بالله منه ومن أهله».

ومن تفسير ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما ملخصه:

«وقد ذَكَر اللهُ عَزَّوَجَلَّ الغاسقَ إذا وَقَب، والنفاثاتِ في العُقَد، والحاسدَ إذا حَسَد؛ لأن البلاء كُلَّه في هذه الأحوال الثلاثة يكون خَفِيًّا: فالليل سِتْر وغِشاء، يكمن فيه الشر ولا يُعلم به، والنفاثات فِي الْعُقَدِ أيضًا كذلك، السِّحر خَفِيٌّ لا يُعلم ولا يُدرَك، وكذلك الحاسد والعائن أيضًا خَفِيٌّ، تأتي العين من شخصٍ تظنُّ أنه من أحبِّ الناس إليك وأنت من أحبِّ الناسِ إليه ومع ذلك يُصيبك بالعين، لهذا السبب خصَّ اللهُ هذه الأمورَ الثلاثة: الغاسق إذا وَقَب، والنفَّاثات في العُقَد، والحاسد إذا حَسَد، وإلَّا فهي داخلةٌ في قوله: ﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾».

فإذا قال قائل: ما هو الطريق إلىٰ التخلُّص من هذه الشرور الثلاثة؟

قُلنا: الطريق إلىٰ التخلُّص أن يُعَلِّقَ الإنسانُ قلبَه بربِّه، ويُفوِّضَ أمْرَه إليه، ويُحقِّقَ التوكل علىٰ الله،

ويستعملَ الأوراد الشرعيَّة التي بها يُحَصِّن نفسَه ويحفظها من شرِّ هؤلاء، وما كَثُر الأمر في الناس في الآونة الأخيرة من السَّحَرةِ والْحُسَّادِ وما أشبهَ ذلك إلا من أجْل غفلتهم عن الله، وضَعْف توكلهم علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، وقِلَّة استعمالهم للأوراد الشرعيَّة التي بها يتحصَّنون، ومع الأسف إن كثيرًا من الناس لا يعرف من الأوراد شيئًا، ومَن عَرَفَ فقد يَغْفُل كثيرًا، ومَن قرأها فقَلْبُه غيرُ حاضر، وكلُّ هذا نَقْصٌ، ولو أن الناس استعملوا الأورادَ علىٰ ما جاءت به الشريعةُ لَسَلِمُوا مِن شرورٍ كثيرة.

[شرح سورة الناس]

قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾:

ذكر الله عَزَّوَجَلَّ ربوبيته للناس، وملكه إياهم، وإلهيته لهم، ولا بد من مناسبة في ذكر ذلك في الاستعاذة من الشيطان، كما تقدم.

فنذكر أولا معنىٰ هذه الإضافات الثلاث، ثم وجه مناسبتها لهذه الاستعاذة، فنقول:

الإضافة الأولىٰ ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾: إضافة الربوبية هنا تتضمن حقّهم وتدبيرهم، وتربيتهم، وإصلاحهم، وتتضمن جلب مصالحهم، وكل ما يحتاجون إليه. كما أن إضافة الربوبية تتضمن دفعَ الشر عنهم، وحفظهم مما يفسدهم وغيرها

من معاني ومقتضيات ربوبية الله سبحانه لهم. وهذا يتضمن قدرته التامة، ورحمته الواسعة، وإحسانه، وعلمه بتفاصيل أحوالهم، إلىٰ غير ذلك.

الإضافة الثانية ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾: إضافة المُلك، فهو مِلكهم المتصرف فيهم: وهم عبيده ومماليكه، وهو المتصرف لهم المدبر لهم كما يشاء، النافذ القدرة فيهم، الذي له السلطان التام عليهم، فهو مِلكهم الحق: الذي إليه مفزعهم عند الشدائد والنوائب. فلا صلاح لهم ولا قيام إلا به وبتدبيره فليس لهم مَلَكٌ إلا هو سبحانه يهربون إليه إذا دهمهم العدو، ويستصرخون به إذا نزل العدو بساحتهم.

الإضافة الثالثة ﴿إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ﴾: إضافة الإلهية، فهو إلههم الحق، ومعبودهم الذي لا إله لهم سواه ولا معبود لهم إلا هو سبحانه. فكما أنه وحده هو ربهم ومليكهم لم يشرَكْه في ربوبيته ولا في ملكه أحد؛

فكذلك هو وحده إلههم ومعبودهم. فلا ينبغي أن يجعلوا معه شريكا في إلهيته، كما لا شريك معه في ربوبيته ومُلكه.

وإذا كان وحده هو ربنا وملِكنا وإلهُنا، فلا ينبغي أن يُدعىٰ ولا يُخاف ولا يُرجىٰ، ولا يُحب سواه، ولا يُذلّ لغيره، ولا يُخضع لسواه، ولا يُتوكّل إلا عليه، لأن من ترجوه وتخافه وتدعوه وتتوكل عليه: إما أن يكون مربّيك والقيم بأمورك، ومتولي شأنك وهو ربك، فلا رب سواه، أو تكون مملوكه وعبده الحق، فهو ملك الناس حقا، وكلهم عبيده ومماليكه، أو يكون معبودك وإلهك الذي لا تستغني عنه طرفة عين، بل حاجتك إليه أعظم من حاجتك إلىٰ حياتك وروحك، وهو الإله الحق إله الناس الذي لا إله لهم سواه.

فمن كان ربهم وملِكهم وإلههم فهم جديرون أن لا يستعيذوا بغيره، ولا يستنصروا بسواه ولا يلجئوا إلىٰ غير حماه، فهو كافيهم وحسبهم وناصرهم ووليهم،

ومتولي أمورهم جميعا بربوبيته وملكه وإلهيته لهم، فكيف لا يلتجئ العبد عند النوازل ونزول عدوه به إلىٰ ربه ومالكه وإلهه؟

فظهرت مناسبة هذه الإضافات الثلاث للاستعاذة: من أعدىٰ الأعداء وأعظمهم عداوة، وأشدهم ضررا، وأبلغهم كيدا.

قوله تعالىٰ: ﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾ ﴾:

تقدم معنا أن سورة الناس مشتملة علىٰ الاستعاذة من الشر الذي هو سبب الذنوب والمعاصي كلها، وهو الشر الداخل في الإنسان، الذي هو منشأ العقوبات في الدنيا والآخرة، وهو سبب ظلم العبد نفسه، ويدخل تحت التكليف، ويتعلق به النهي، وهو من المعائب التي أصلها كلها الوسوسة.

﴿ٱلْوَسْوَاسِ﴾ قال العلماء: إنها مصدر يراد به اسم الفاعل أي: الموسوس. وهي من وَسْوَسَ، وأصل الوسوسة: الحركة أو الصوت الخفي الذي لا يُحس، فيُحترز منه.

والوسوسة هي: ما يلقىٰ في القلب من الأفكار والأوهام والتخيلات التي لا حقيقة لها.

﴿ٱلْخَنَّاسِ﴾ الذي يخنس وينهزم ويولي ويدبر عند ذكر الله عَزَّوَجَلَّ وهو الشيطان. ولهذا جاء في حديث ابن هريرة عن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنه قال: «**إذا نُودي بِالصَّلَاةِ أدبر الشَّيْطَان لَهُ ضراط حَتَّى لَا يسمع التأذين، حَتَّى إِذا قضي التثويب أقبل حَتَّى يخْطر بَين الْمَرْء وَنَفسه. يَقُول اذكر كَذَا، وَاذْكُر كَذَا - لما لم يكن يذكر من قبل - حَتَّى يظل رجلٌ مَا يدْرِي كم صلى**».

وهذه السورة مشتملة علىٰ الاستعاذة برب الناس

ومالكهم وإلههم، من الشيطان الذي هو أصل الشرور كلها ومادتها، الذي من فتنته وشره، أنه يوسوس في صدور الناس، فيحسن لهم الشر، ويريهم إياه في صورة حسنة، وينشط إرادتهم لفعله، ويقبح لهم الخير ويثبطهم عنه، ويريهم إياه في صورة غير صورته، وهو دائمًا بهذه الحال يوسوس ويخنس إذا ذكر العبد ربه واستعان علىٰ دفعه.

فينبغي له أن يستعين ويستعيذ ويعتصم بربوبية الله للناس كلهم.

وأن الخلق كلهم، داخلون تحت الربوبية والملك، فكل دابة هو آخذ بناصيتها.

وبألوهيته التي خلقهم لأجلها، فلا تتم لهم إلا بدفع شر عدوهم، الذي يريد أن يقتطعهم عنها ويحول بينهم وبينها، ويريد أن يجعلهم من حزبه ليكونوا من أصحاب السعير،

والوسواس كما يكون من الجن يكون من الإنس، ولهذا قال: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾، أي: أن الوساوس تكون من الجن، وتكون من بني آدم، أما وسوسة الجن فظاهر لأنه يجري من ابن آدم مجرىٰ الدم، وأما وسوسة بني آدم فما أكثر الذين يأتون إلىٰ الإنسان يوحون إليه بالشر، ويزينونه في قلبه حتىٰ يأخذ هذا الكلام بلبه وينصرف إليه.

● **فضل المعوذتين:**

وهذه السورتان لهما فضل عظيم، ثبت في عدد من الأحاديث، منها:

جاء عند مسلم في صحيحه، عن عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ألم تر آيات أنزلت هذه الليلة لم ير مثلهن قط: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾**».

وفي مسند الإمام أحمد، عن عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بينا أنا أقود برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في نقب من تلك النقاب، إذ قال لي: «**يا عقبة، ألا تركب؟**». قال: فأجللت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن أركب مركبه. ثم قال: «**يا عُقيب، ألا تركب؟**». قال: فأشفقت أن تكون معصية، قال: فنزل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وركبت هنيهة، ثم ركب، ثم قال: «**يا عقيب، ألا أعلمك سورتين من خير سورتين قرأ بهما الناس؟**». قلت: بلىٰ يا رسول الله. فأقرأني: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ ثم أقيمت الصلاة، فتقدم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقرأ بهما، ثم مر بي فقال: «**كيف رأيت يا عقيب، اقرأ بهما كلما نمت وكلما قمت**».

وعند أحمد وغيره، عن عقبة بن عامر أيضًا قال: أمرني رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن أقرأ بالمعوذات في دبر كل صلاة.

وعند النسائي: عن عقبة بن عامر، بينا أنا أقود برسول الله ﷺ راحلته في غزوة إذ قال: «**يا عقبة، قل**»، فاستمعت، ثم قال: «**يا عقبة، قل**» فاستمعت، ثم قال: «**يا عقبة قل**»، فاستمعت فقالها الثالثة، فقلت: ما أقول؟ فقال: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فقرأ السورة حتىٰ ختمها ثم قرأ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، وقرأت معه حتىٰ ختمها، ثم قرأ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، فقرأت معه حتىٰ ختمها ثم قال: «**ما تعوذ بمثلهن أحد**».

وعند البخاري عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ كان إذا أوىٰ إلىٰ فراشه كل ليلة جمع كفيه، ثم نفث فيهما، فقرأ فيهما: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما علىٰ

رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات.

وعند البخاري ومسلم عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا اشتكىٰ يقرأ علىٰ نفسه بالمعوذتين وينفث، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه، وأمسح بيده عليه، رجاء بركتها.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مراجع المادة:

تفسير ابن جرير الطبري، تفسير ابن القيم، تفسير ابن كثير، تفسير السعدي، شرح الشيخ ابن عثيمين، رحم الله الجميع.

حقوق الطبع محفوظة

لمزيد من الكتيبات

يرجى مسح الكود أو اتباع الرابط أدناه:

https://www.baynoona.net/ar/all/ebooks